

د. عبد الرؤوف سنو محاضراً في المركز الثقافي الالمانى  
ألمانيا والاسلام بين عام 1871 - 1945



د. عبد الرؤوف سنو خلال المحاضرة

بدعوة من المركز الثقافي الألماني - جونييه، وحضور حشد من أساتذة التاريخ في الجامعة اللبنانية وعدد غفير من المهتمين، ألقى الدكتور عبد الرؤوف سنو من الجامعة اللبنانية محاضرة سمعية - بصرية، مدعومة بالوثائق والجداول والصور، بعنوان "ألمانيا والإسلام بين عامي 1871 - 1945".

تمحورت المحاضرة حول استغلال ألمانيا الإسلام قبل الحرب العالمية الأولى عبر الاستفادة من مضامين الجامعة الإسلامية ومن منصب السلطان العثماني كخليفة من أجل تحقيق مصالحها الاستعمارية، تارة في افريقيا، وتارة أخرى في آسيا عبر حث السلطان عبد الحميد الثاني كخليفة على إرسال جيوشه الى الصين والقضاء على ثورة إسلامية اندلعت هناك ضد الاوروبيين. ومن خلال التلاعب بورقة الإسلام، أعلن إمبراطور ألمانيا عن صداقته للمسلمين في العالم وبالتالي توجيه تحذّر لبريطانيا في سياستها الإسلامية وفرنسا في نفوذها في بلاد الشام. ويعتقد سنو، أن ألمانيا استفادت كثيراً من سياستها الإسلامية، فكانت أكثر الدول الأوروبية نفوذاً ومصالح لناحية الاقتصاد والتجارة ورأس المال. وبتأثير هذه السياسة الإسلامية، سرى الاعتقاد لدى بعض المسلمين بإمكانية أسلمة ألمانيا والاستقواء بها ضد الغرب، بدلاً من الاقتداء بنهضتها.

وفي تطور تصاعدي لافت لسياسة ألمانيا الإسلامية، أعلن السلطان العثماني بُعيد اندلاع الحرب العالمية الأولى الجهاد ضد الدول الأوروبية المعادية لألمانيا. ولاحظ سنو وجود إشكالية في إعلان الجهاد. فهو من جهة موجه ضد دول مسيحية، ويعمل من جهة أخرى لصالح دول مسيحية أخرى حليفة للسلطنة. ورأى أن ألمانيا كانت وراء إعلان الجهاد العثماني كونه يخدم مصالحها، مما أدى الى ظهور ثلاثية لهذا الجهاد: جهادان إسلاميان للدولة العثمانية وللمرجعيات الشيعية في العراق لصالح ألمانيا، وجهاد اسلامي عربي لصالح بريطانيا أعلنه الشريف حسين. وقد ألقى الدكتور سنو الضوء على دور المستشرق الألماني ماكس فون أوبنهايم في تحريض العالم الإسلامي وتجييشه ضد دول الوفاق الودي، وفي استقطاب شخصيات عربية وإسلامية للتعاون مع ألمانيا. لكن سنو رأى، أن ألمانيا فشلت في استقطاب العرب وراء شعار الجهاد،

بسبب تجاهلها مشاعر القومية العربية، وتأييدها عودة البلاد العربية الى السيطرة العثمانية بعد الحرب. لقد تغلبت مشاعر القومية العربية عند العرب على مشاعر الجامعة الاسلامية والرابطة العثمانية.

بعد أن لحقت بها الهزيمة في الحرب العالمية الأولى، ضعف مركز ألمانيا في المشرق العربي. ولم تمارس حكومة فايمر سياسة نشطة في المنطقة، إذ انصب همها على التخلص من بنود معاهدة فرساي. وبوصول هتلر الى السلطة عام 1933 أصبح الزعيم الألماني محط أنظار الحركة العربية كالحاج أمين الحسيني ورشيد عالي الكيلاني. وقد أملت الحركة العربية في الحصول على دعم هتلر للتحرر والاستقلال. لكن ألمانيا لم تطور استراتيجية شرق أوسطية، وكانت تعتبر المتوسط والمشرق العربي منطقة نفوذ إيطالية وفرنسية (حكومة فيشي)، وكان هذا كافياً لأن تتجاهل ألمانيا النازية المطالب العربية بالاستقلال. لقد كان هناك قاسم مشترك جمع ما بين ألمانيا والحركة العربية، وهو عداؤهما لليهود. إلا أن العدااء الألماني تجاه اليهود في ألمانيا، انعكس متناقضاً في فلسطين. فكان هتلر يضطهد اليهود الألمان الاندماجين في فلسطين من ناحية، ويوجه الهجرة اليهودية الى فلسطين من ناحية أخرى. فساعد، بشكل أو بآخر. على صهيئة فلسطين.

لقد نادى مفتي طرابلس الحاج أمين الحسيني بالجهاد ضد الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية، فهل كان هذا مشروعاً ألمانياً؟ يرى سنو أن المستشرق أوبنهايم هو الذي لفت في عام 1940 انتباه حكومته مرة أخرى الى أهمية تحريض العالم الاسلامي دينياً ضد الحلفاء. مع ذلك، لم يعمل هتلر من أجل إعلان جهاد عربي. فهو لم ير حاجة اليه. لكنه لم يعارضه، طالما كان يخدم أهداف بلاده. وأشار المحاضر الى أن الاذاعات الألمانية الناطقة باللغة العربية كانت تفتتح بثها الصباحي بآيات من القرآن الكريم، وتذيع تصريحات الحسيني الداعية للجهاد، وتجند المسلمين في وحدتها العسكرية وتزودهم بالأثمة. وقدم سنو أدلة تشير الى أن بعض دوائر الخارجية الألمانية والمقربين من هتلر كانوا يعملون على تحريض المسلمين من دون استخدام تسمية الجهاد. وأشار الى اعجاب هاينريش هملمر بالجهاد والاستشهاد بقوله: "أنا لست ضد الاسلام، فهو يعلم الناس ويعدهم بالجنة إذا ما حاربوا وماتوا. إنه دين عملي وجذاب بالنسبة الى الجنود". وختم سنو بالقول: "على الرغم من أن الجهاد هو مصطلح إسلامي ومصدره اسلامي ويحتل موقعاً أصيلاً في الشرع الإسلامي، إلا أن ألمانيا هي التي أعادت احياؤه من جديد خدمة لمصالحها. وقد أدرك الاميركيون أهمية الجهاد، فقاموا بتقليد الألمان والوقوف وراء إعلان الافغان الجهاد ضد الشيوعية السوفياتية بعد غزو أفغانستان.